جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللّغة العربيّة – الدراسات العليا

الجدل والمجادلة في كتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربيّة وآدابها/ تخصص أدب

من الطالبة

وسن حسن هادي

بإشراف

أ.د. فاضل عبود التميمي

١٤٤٢هـ ٢٠٢٠م

الفصل الأول
مصادر التفكير الجدلي

المبحث الأوّل: المصادر الغربيّة (الفكر الأرسطي).

المبحث الثاني: المصادر العربيّة.

المبحث الثالث: المصادر الشرقيّة.

إضاءة:

يحاول هذا الفصل أَنْ يقف عند مصادر التفكير الجدلي التي اعتمد عليها ابن وهب في كتابه: (البرهان في وجوه البيان)، وهدفه بيان أثر تلك المصادر في بنيته، وطرائق اتصاله بالخطاب الجدلي، والمصادر هي النصوص التي أسهمت في تربيّة عقله، وشحذ قدراته الذاتية في الحوار، والجدل، وإقامة الحجة على الخصم(١).

يراد بالتفكير الجدلي: ذلك المنهج الترابطي المبني على الحوار الّذي لا يمكن عزله عن مضمون الفكر، ولهذا قالوا لا يصحّ استقلال المنطق عن الفلسفة في ما يتعلّق بالمنطق الجدلي، فالمنطق على الرغم من أَنَّهُ: ((آلةٌ تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر))(٢)، إِلَّا أنَّهُ من ناحية أخرى: ((قوانين الفكر وأشكاله التي تقود إلى معرفة الحقيقة))(٣)، وفي المنطق الجدلي تكون صور الفكر، وقواعده، وقوانينه، جزءًا من محتواه، ولو رفضنا المنهج الجدلي الّذي يوصلنا إلى الفكر فسوف ينهار الفكر، أو مادته من أساسه، فهو لا يدرس صور الفكر فقط، إنَّما يدرس مادته، ومادته هي الفكر مضمونه، أو محتواه، فالمنهج الجدلي إذن لا ينفصل محتواه عن الصورة، فهو يدرس أشكال الفكر مع مضمونها، ومضمونها هو الفكر، ويراد بذلك أَنَّ المنهج الجدلي ليس صورة خالية، أو إطارًا فارغًا، ولا يمكن أَنْ ينطبق على موضوعات خارجية، بل هو نفسه روح الموضوع(٤)، إمَّا الجدل، وإمَّا الجدلي، فهو ترجمة لكلمة (Dialektik) الفلسفية التي تعني المناقشة، أو الحوار في أصلها اللغوي، وهي تدل على منهج في النظر المعرفي، أو الفلسفي، وقد نقلها أحد الباحثين العرب، هو الدكتور عبدالرحمن

---

(١) ينظر: منهج البحث: د. صالح هويدي: معهد الشارقة للتراث: ٢٠١٩: ٥٣.

(٢) التعريفات: الشريف الجرجاني: ٢٢٩.

(٣) تطور الفكر النقدي الأدبي في العراق: د. بتول قاسم ناصر: دار الفارابي: بيروت: لبنان: ط:١: ٢٠١٩م: ١٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٦-١٧.

بدوي في كتابه (خريف الفكر)[١]، كما هي (ديالكتيك)، ثمَّ ترجمها بولس سلامة إلى الصراع في كتابه (الصّراع في الوجود)[٢]، في حين نجد الدكتور إمام عبدالفتاح إمام يؤثر ترجمتها بالجدل[٣]، كما فعل المسلمون حين نقلوا التراث اليوناني، ونرى أَنَّ كُلًّا من لفظتي (جدل)، و(صراع) مناسبتان لما تعنيه كلمة (ديالكتيك)؛ لأَنَّ كُلًّا منهما يشترط وجود طرفين يتناقضان، أو يختلفان مِمَّا يؤدي إلى صراع، أو خصومة بينهما، وهذا الصراع، أو الخصومة تنتهي إلى نتيجة[٤]؛ فالتفكير الجدلي إذن هو كُلّ تصور يخضع للآليات الفكر.

وعند الوقوف لاستقراء مباحث (البرهان في وجوه البيان) لابن وهب الكاتب يتبيّن للقارئ بعد الفحص الدقيق أَنَّ تأليف الكتاب كان قد مرّ بوساطة الإفادة من قسم من المصادر الغربيّة، والشرقيّة التي يبدو لي أَنَّ المؤلف قد اطّلع عليها، وليس هذا بالغريب عليه فقد عُرف بثقافته، وإطلاعه على المصادر التي سندرسها بشيء من التفصيل :

إذ أبدع ابن وهب في التنظير للبيان بطريقة جمعت بين مرجعيّات متنوعة هدفها اكتساب خبرة أهل زمانه المعروفة، والعمل على تصنيفها من حيث درجة اليقين؛ إذ استغل ابن وهب جملة أصول البيان وطرقه التعبيرية التي يتمتع بها الموروث الثقافي العربي، وذلك بعد استيعابه الناقص عند سابقيه في المجال الأدبي، فاستثمرها؛ لأَنَّ البيان يُعَدُّ آلة تنظم الخطاب بنمطيه المكتوب، والمنطوق يتحكم فيها العقل القائم على معتقدات، وتصورات هيأت للسان نظامه، ووظيفته التي لا تنفك عن اللسان العربي بكونه أداة لمعرفة العالم، وبيانه، وقد تعدّد المعتنون باللسان العربي؛ لأَنَّهُ يشكل أفضل

---

(١) خريف الفكر اليوناني: عبد الرحمن بدوي: مكتبة النهضة المصرية: مصر: ١٩٤٣م:٤.

(٢) الصّراع في الوجود: بولس سلامة: دار المعارف: مصر: ١٩٥٢م: ٤٥.

(٣) المنهج الجدلي عند هيجل: د. إمام عبد الفتاح إمام: دار التنوير: بيروت: ط: ٣: ٢٠٠٧م: ٢٢.

(٤) ينظر: تطور الفكر النقدي الأدبي في العراق: د. بتول قاسم ناصر: ١٦- ١٧.

الدلالات البيانية، أو (الوجوه البيانيّة) عند العرب القدماء، وقد أفاد ابن وهب كثيرا من هذه الأداة المعرفية، في إستراتيجيته لتصور البيان؛ فوظفها لجلب قدر من الطرائق لإكساب أهل زمانه المعرفة اليقينية، وتداولها في الواقع الملموس(١).

ويعدّ كتاب (البرهان في وجوه البيان) لابن وهب الكاتب واحدًا من الآثار العربية في البلاغة، والنقد التي تبدو فيها الإفادة واضحة من الفكر اليونانيّة؛ ولهذا نجد كتاب البرهان يحمل إشارات كثيرة تدلّ على اطلاعه، ومعرفته بالأفكار النقدية عند اليونان(٢)؛ فكتاب البرهان يُعَدُّ خطوة جديدة في دراسة الأدب وألوانه، ودراسة البيان العربي دراسة منطقية، وعلمية، تخضع للعقل، والبراهين، والأدلة، مع الإفادة من النصوص الأدبية، ومن قيمتها البلاغية، ولاسِيَّمَا في كتاب ((البيان والتبيين)) للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، والإفادة أيضًا مِمَّا ترجم عن اليونان وغيرهم من فلسفة، ومنطق، وجدل، وخطابة، ولاسِيَّمَا في قسم العبارة عند أرسطو(٣).

وكما كان ابن وهب ذا عقلية موسوعية، فقد جمع إلى جانب علمه بالأدب وروايته علمه بأصول الفقه، والتشريع، والتأويل، والمنطق، والفلسفة اليونانيّة؛ وهذه المعارف واضحة في كتابه الّذي يفلسف الأدب فيه ويحصي أقسامه؛ إذ نجده يحدّد كُلّ قسم منها تحديدًا منطقيًا على وجه سليم من الناحية المنطقيّة، ومن حيث استيفاء الأقسام ممّا لا نكاد نرى له نظيرًا في كتب الجاحظ، فنستطيع إجمال إفادته في المادة،

---

(١) ينظر: البيان بين المعرفة والتداول عند العرب القدامى: كتاب البرهان في وجوه البيان لأبي الحسين إسحاق بن سليمان بن إبراهيم بن وهب الكاتب: رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في البلاغة العربية: إعداد الطالبة: هند بوسكين: جامعة الجزائر رقم٢: كلية الآداب واللغات: قسم اللغة العربية وآدابها: ٢٠١١/٢٠١٢م: ٣٨.

(٢) ينظر: النقد الأدبي عند اليونان: بدوي طبانة: دار الثقافة- بيروت: ١٩٨٦م: ٢٤١.

(٣) ينظر: مقدمة البرهان في وجوه البيان: ابن وهب الكاتب: تحقيق: د. أحمد مطلوب: و د. خديجة الحديثي: ٣٥.

وإنْ خالفه في المنهج؛ فعقليّة ابن وهب عقليّة علميّة فلسفيّة، أَمَّا الجاحظ فنجد الناحية الأدبية هي أبرز ما يلحظ في كتابه، ويغلب على تأليفه(١).

وقد عَدَّ الدارسون المحدثون كتاب البرهان لابن وهب علامة دالة على اتصال الهيلينية المباشر(*) بالبيان العربي القديم؛ إذ ركزوا في المقام الأول على كتابي أرسطو ((الشعر))، و((الخطابة))، ثمَّ على كتبه المنطقية الأخرى؛ إذ عدّ طه حسين أَنَّ محاولة ابن وهب جريئة جدًّا في الإفادة من الآخر، ثمَّ حكم على الكتاب أَنَّهُ يحمل بيانًا جديدًا كُلّ الجدة، بيان لا يستمد مادته من الأدب العربي البحت، وخطابة أرسطو وشعره فقط، وإنَّما يستفيد أيضًا في تكوين بنيته من منطق أرسطو، ولاسِيَّمَا من كتابيه (فن الشعر)، و(الخطابة)(٢).

ومن يمعن النظر في فصول كتاب (البرهان في وجوه البيان) لابن وهب الكاتب، يدرك أَنَّهُ اعتمد في تأليفه على مصادر مهمة كانت بالنسبة له العمود الّذي اعتمد عليه بنيان الكتاب ولغرض تسهيل مهمة البحث في هذا الفصل فقد قسمت تلك المصادر على ثلاثة مباحث:

---

(١) ينظر: البيان العربي: د. بدوي طبانة: دار المنارة – جَدّة: دار الرّفاعي – الرياض: ط: ٧: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م: ١٠٣.

(*) الهيلينية: هي حقبة متأخرة من الحضارة الإغريقية ازدهرت في الحقبة المسماة بالعصر الكلاسيكي، وتمتد منذ اوائل القرن الرابع قبل الميلاد حيث فتح الاسكندر المقدوني (٣٢٣ق. م) ابواب الثقافة اليونانية للشرق، وفتح بالتالي ابواب الثقافة الشرقية لليونان، فقد تقابلت حضارتان، أو بالأحرى تقابلت حضارة واحدة قد بلغت أوجها: خريف الفكر اليوناني: عبد الرحمن بدوي: ٧.

(٢) ينظر: التأثير اليوناني في النقد والبلاغة العربيين: د. رامي جميل سالم: أستاذ الأدب والنقد المساعد: جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا: الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع: إربد– شارع الجامعة: ط:١: ٢٠١٤: ١٧١-١٧٢.

المبحث الأوّل

المصادر الغربيّة

(الفكر الأرسطي)

ويـراد بالمصـادر الغربيّـة: الكتـب اليونانيّـة التـي أُلّفـت فـي البلاغـة، والحِجـاج، والخطابة التي اطّلع عليها ابن وهب، وأسهمت في تربية ذوقه الجدلي، بعد أَن ترجمت إلى العربية، ونخص بالذكر هنا الفكر الأرسطي مثالاً دالاً.

إنَّ ثقافة ابن وهب الكاتب، متعددة الجوانب، فنجد الثقافة اليونانيِّة واضحة في تأليفه، ومنهجه، وواضح نقله الكثير عن أرسطو(١)، ونجد كتاب البرهان مؤلف على طريقة أرسطاطاليس في كتاب الخطابة؛ فكما يبدأ أرسطاطاليس في نقد أصحاب البيان، ويحاول أَنْ يضع بيانًا جديدًا متلائمًا لطبيعة الفن، ولحقيقة الأدب، نجد صاحب كتاب البرهان أيضًا يبدأ كتابه بنقد كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ، وكتاب أرسطوطاليس، قائم على ثلاثة أشياء: (المنطق، والسياسة، والأخلاق)(٢)، والمنطق قانون العقل، ونظام التفكير والسياسة؛ لأَنَّها قانون المدن، والأخلاق الوسيلة الوحيدة؛ لأَنَّ يعرف المتكلم طبيعة الناس الّذين يتحدث إليهم، وعلى هذا النحو كتاب البرهان لابن وهب الكاتب، فقوامه المنطق، والأخلاق، والسياسة(٣).

وعند قراءة كتاب (البرهان) يتبين للقارئ بعد الفحص الدقيق أَنَّ تأليف الكتاب كان قد مرّ بوساطة بعض المصادر الغربية، وليس هذا بالغريب على ابن وهب الّذي عُرف بثقافته، واطلاعه على المصادر الغربية، ولاسِيَّمَا ما كتبه أرسطو، ويبدو لي ذلك التأثير واضحًا في الفقرات الآتية:

ويبدو إن تأثر ابن وهب الكاتب كان واضحًا بأرسطو، وهذا ما بدا في باب الاختراع، والاختراع: ((من اخترع الشيء أي ارتجله، والخَرَع – بالتحريك – والخراعة: الرخاوة في الشيء، ومنه قيل لهذه الشجرة الخِروَع لرخاوته))(٤)؛ إذ ذكر ابن وهب

---

(١) ينظر: البرهان في وجوه البيان: ابن وهب الكاتب: تحقيق: حفني محمد شرف: ٣٥،(مقدمة المحقق).

(٢) الخطابة: أرسطو: ٣٠.

(٣) ينظر: من حديث الشعر والنثر: طه حسين: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: ٢٠١٢م: ٧٥.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب: المجمع العلمي العراقي: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ١/ ٦٧.

الألفاظ المخترعة فتكلم عنها، ولم يكن هو مخترعًا لما تحدث عنه، وإنَّما ذكر ذلك على سبيل الدراسة، والبحث، يقول: وأما ((الاختراع فهو ما اخترعت له العرب اسمًا مِمَّا لم تكن تعرفه، ثمَّ يذكر أَنَّ كُلّ من استخرج علمًا، واستنبط شيئًا، وأراد أَنْ يضع له اسمًا من عنده، ويواطئ من يخرجه إليه عليه، فله أَنْ يفعل ذلك، ومن هذا الجنس اخترع النحويون اسم الحال، والزمان، والتمييز، والمصدر، والتبرية))[١]، ثمَّ احتجّ ابن وهب الكاتب[٢]، بأرسطو: ((وقد ذكر أرسطاطاليس ذلك، وقال: إِنَّهُ مطلق لكُلّ أحد يحتاج إِلى تسمية شيء ليعرفه به أَنْ يسميه بما شاء من الأسماء))[٣]، ويبدو لي أَنَّ ما قاله ابن وهب كان متأثرًا بأرسطو في كتابه: (فن الشعر) أيضًا، الذي يقول فيه: ((الاسم المخترع هو الذي لم يكن مستعملًا قط ووضعه الشاعر من تلقاء نفسه))[٤]، وقد ذكر الدكتور حفني محمد شرف نص أرسطو الذي يقول فيه: ((وأما الموضوعة فهي الألفاظ المخترعة في لسان جنس ما يخترعها بعض أهل ذلك اللسان على نحو التركيب الذي لحروفهم))[٥]، واضح تأثر ابن وهب بأرسطو فقد عبّر عن المضمون نفسه الّذي تناوله أرسطو؛ ولكن بطريقته الخاصة، وهذا الباب ليس مختصًّا بالعرب فقط؛ ولكن يشترك فيه العرب، وغيرهم، مِمَّا يعني أَنَّهُ ثقافة مشتركة بين الشعوب كانت عند العرب يوم ذاك، وبعد كُلّ هذا نستطيع القول من غير تردّد: إِنَّ التأثير الأجنبي، واليوناني بالذات كان له أثر كبير في الأدب العربي، وفي رجاله، ولاسِيَّمَا في القرن الرابع، ونجد خير مثال لرجال القرن الرابع ابن وهب في كتابه (البرهان)[٦].

تأثر ابن وهب بأرسطو في موضوع المبالغة في الشعر، والمبالغة في المصادر العربيّة، كما يقول قدامة: ((أن يذكر الشاعر حالًا من الأحوال في شعر لو وقف عليها

---

(١) البرهان في وجوه البيان: ١٥٨– ١٥٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٩.

(٣) تلخيص الخطابة: ابن رشد: تحقيق: د. عبدالرحمن بدوي: القاهرة: ١٩٦٠: ٢٥٢.

(٤) فن الشعر: أرسطوطاليس: تحقيق: عبدالرحمن بدوي: مكتبة النهضة المصرية: القاهرة: ١٩٥٣م: ٥٩.

(٥) البرهان في وجوه البيان: ابن وهب الكاتب: تحقيق: حفني محمد شرف: ٣٩، (مقدمة المحقق).

(٦) ينظر: المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

لأجزاه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ في ما قصد))[١]، وقد ذكر ابن وهب المبالغة في الشعر بقوله: ((وللشاعر أَنْ يقتصد في الوصف، أو التشبيه، أو المدح، أو الذم، وله أَنْ يبالغ، وله أَنْ يسرف حتى يناسب قوله المحال، ويضاهيه، وليس من المستحسن السرف، والكذب، والإحالة في شيء من فنون القول إِلَّا في الشعر))[٢]، وقد ذكر أرسطاطاليس الشعر فوصفه بأنَّهُ: ((الكذب فيه أكثر من الصدق، وذكر أَنَّ ذلك جائز في الصياغة الشعرية))[٣]، ويبدو لي أَنَّ ما ذهب إليه ابن وهب كان متأثرًا بأرسطو في كتابه (فن الشعر) في قوله: ((وقد يمكن أن تُقسَّم القياسات، وبالجملة الأقاويل، بقسمةٍ أخرى فيقال: إِنَّ الأقاويل إِمَّا أَنْ تكون صادقة لا محالة بالكل، وإِمَّا أَنْ تكون كاذبةً لا محالة بالكل، وإِمَّا أَنْ تكون صادقة بالأكثر كاذبةً بالأقل، وإِمَّا عكس ذلك، وإِمَّا أَنْ تكون متساوية الصدق، والكذب؛ فالصادقة بالكُلّ لا محالة هي البرهانية، والصادقة بالبعض على الأكثر؛ فهي الجدلية، والصادقة بالمساواة فهي الخطبية، والصادقة في البعض على الأقل فهي السوفسطائية، والكاذبة بالكُلّ لا محالة فهي الشعرية))[٤].

واضح من قول ابن وهب وأرسطو أن المبالغة، والكذب يجوزان في الصياغة الشعريّة، ولكن يجب أن يعطي الشاعر كُلّ شيء حقه، ويضعه موضعه، فلا يكسو

(١) نقد الشعر: قدامة بن جعفر: تحقيق: كمال مصطفى: مكتبة الخانجي: القاهرة: ط: ٣: ١٤١.
(٢) البرهان في وجوه البيان: ١٨٥.
(٣) مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم: د. مصطفى البشير قط: دار اليازوري: عمان-الأردن: ٢٠٠٩: ٥٠.
(٤) فن الشعر: أرسطوطاليس: ١٥١.

المعاني الجدية ألفاظًا هزلية فيسخفها، وَمِمَّا يزيد الشعر حلاوة في الصدر، حسن الإنشاد، وحلاوة النغمة[١].

وذكر ابن وهب الكاتب في باب التوّدد، الّذي يراد به: ((طلب مودَّة الأكفاء بما يوجب ذلك))[٢]، الذي عدّهَ بأَنَّهُ: (من أنفع الأشياء للإنسان، وأعوانها على الزمان؛ لأَنَّ بالمودة صلاح الأمور جميعها، وبالعداوة فسادها، ويحوز الإنسان على المودة ممن يرومُها منه، هو أَنْ يرى له مواسيًا بما يقدر عليه)[٣]، وقديمًا قال أرسطاطاليس: ((ليس مع الإيثار بغضة، ولا مع الاستكبار محبة))[٤]، ويبدو لي أَنَّ ما أبداه ابن وهب كان متأثرًا بأرسطو في كتابه (الخطابة) في قوله: ((أولئك الّذين نكون في تنافس معهم، أو نود أَنْ ينافسونا، لا أَنْ يحسدونا، هؤلاء نحن إِمَّا نحبهم، وإِمَّا نود أَنْ نكون أصدقاء لهم، وأولئك الّذين نريد أَنْ نعاونهم في الحصول على ما هو خير، بشرط أَلَّا ينشأ عن ذلك شر أكبر لنا نحن، وأولئك الّذين يبدون عن مودة للأصدقاء، سواء أكانوا غائبين أم حاضرين))[٥]. ومعنى قولهما أَن صلاح المجتمع قائم على التوّدد، والمحبّة، والابتعاد عن البغض، والاستكبار.

وذكر ابن وهب في باب الحاجب، الّذي هو عند ابن خلدون: ((من يحجب السلطان عن الخاصة، والعامة، ويكون واسطة بينه، وبين الوزراء فمن دونهم))[٦]، وأمَّا الحاجب عند ابن وهب فهو: المؤتمن على الأعراض، وأداء الأمانة في الأعراض أوجب منها في الأموال؛ لأَنَّ الأموال وقاية للأعراض، ولهذا ترى الأحرار يرضون بذهاب أموالهم، ولا يرضون برؤية ضرر ينال أعراضهم؛ فكذلك ينبغي للوزير أَنْ يجعل حاجبه،

---

(١) ينظر: البرهان في وجوه البيان: ١٨٦.
(٢) التعريفات: للجرجاني: باب التاء: ٩٨.
(٣) البرهان في وجوه البيان: ٩٠ – ٩١.
(٤) المصدر نفسه: ٢٩١.
(٥) الخطابة: أرسطو: ١١٦.
(٦) المقدمة: لابن خلدون: ٢/ ٦٠٩.

وَأَنْ يحظر استعمال المجازاة في الإذن عليه، وَأَنْ لا يتجاوز بامرئ فوق حدّه، ولا ينقصه قدره؛ لأَنَّهُ متى وضع إنسانًا دون قدره فقد ظلمه، ووضع منه، ورفع نظراءه عليه، وَأَنْ يتلقى من يحجبه عنه بالعذر الموجب ذلك بالبشاشة، واللطافة، وإظهار الود، فهذه جملة ما ينبغي للوزير أَنْ يسوس بها خاصته، وَأَنْ يتبع العدل في معاملة الرعية[١]. ثمَّ يحتج بقول أرسطو، وقد قال صاحب المنطق(يعني أرسطو): ((الرياسة لا تقوم إِلَّا بطريقتين مختلفتين، وذلك أَنَّ سفل الناس إِنَّما يذعنون للسلطان بالخوف؛ فلا بُد من الشدة عليهم، وأمَّا الأفاضل فيذعنون بالمحبة، والرضى؛ فقد يحتاج السلطان إلى الرفق بهم حتى يجتمع له الناس طوعًا، وكرهًا))[٢]، فالحاجب إذن هو الذي يحجب الناس عن الخليفة، وله موقع خاص في سياق العمل الخاص بالدولة أيام الأمويين، والعباسيين.

وتحدث ابن وهب عن اللغز، الذي يراد به: ((ما أُلغز من كلام فشبّه معناه، واللغز: الكلام الملبّس))[٣]، وقال الصفدي: ((اللغز هو أَنْ تذكر شيئًا بصفات يشاركه فيها غيره فيرجع الذهن في ذلك إلى حيرة لا يدري مصرفها إلى أي متصف منهما بتلك الصفات؛ لكونها تصدق من جهة وتكذب من أخرى، واشتقاقه من ((اللغيزى))، وهي حفر يحفرها اليربوع تحت الارض، ويجعلها متشعبة يمنة، ويسرة ليخفي أمره على من يقصده فاذا طلبه في واحد منها خرج من آخر))[٤]، وقد عَدَّ ابن وهب اللغز: ((وهو قول استعمل فيه اللفظ المتشابه طلبا للمعاياة، والمحاجات، والفائدة في ذلك في العلوم الدنيوية رياضة الفكر في تصحيح المعاني، وإخراجها من المناقضة، والفساد إلى معنى الصواب، والحق، وقدح الفطنة في ذلك، واستنجاد الرأي في استخراجها))[٥] من

(١) ينظر: البرهان في وجوه البيان: ٤٢٠-٤٢١.
(٢) المصدر نفسه: ٤٢١.
(٣) معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها: د. أحمد مطلوب: ٣/ ١٧٠.
(٤) المصدر نفسه: ١٧٢.
(٥) البرهان في وجوه البيان: ابن وهب الكاتب: تحقيق: د. حفني محمد شرف:٣٦، (مقدمة المحقق).

الجدل، وهذا ما أكده الدكتور حفني محمد شرف، ويبدو لي أَنَّ ما قاله ابن وهب كان متأثرًا بأرسطو في كتابه: (فن الشعر)، في قوله: ((ماهية اللغز: هي أَنْ تُركَّب ألفاظ لا تتفق مع بعضها البعض تؤدي معنى صحيحًا، وهذا لا يأتي بتأليف ألفاظ ذات معان حقيقية، بل يتأتى باستعمال المجازات))[١]، وهذا دليل أكيد على إطلاع ابن وهب الكاتب على مقولات أرسطو في كتابيه (فن الشعر)، و(الخطابة).

وبحثَ ابن وهب في الأمثال، ويراد بالمثل: ((الشيء الّذي يضرب لشيء مثلًا؛ فيجعل مثله، والجمع: الأمثال))[٢]، وقد لخَّص الميداني[٣] ما قيل في المثل فقال: قال المبرد: ((المثل مأخوذ من المثال. وهو: قول سائد يشبه به حال الثاني بالأوّل والأصل فيه التشبيه))[٤]، وذكر ابن وهب الأمثال في قوله: ((وأمَّا الأمثال فإنَّ الحكماء، والأدباء لم يزالوا يضربون الأمثال، ويبينون تصرف الأحوال بالأشباه، والنظائر، والأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلبًا، وأقرب مذهبا...؛ ولذلك جعلت القدماء أكثر آدابها، وما دونته من علومها بالقصص، والأمثال عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسن الطير، والوحش، وإنَّما أرادوا بذلك أَنْ يجعلوا الأحبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقومات مضمومة إلى نتائجها))[٥]، وإذا أمعنا النظر في هذا النصّ سنجد ما فيه يتضمن قول أرسطو: والمثال كما قيل في هذه الصناعة شبيه بالاستقراء في الجدل، والمثال في هذه الصناعة نوعان:

---

(١) فن الشعر: أرسطوطاليس: ٦١.

(٢) معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها: د. أحمد مطلوب: ١/ ٣١٢.

(٣) مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري: تحقيق: محمد محيي الدّين عبد
الحميد: دار المعرفة: بيروت: ١/ ١.

(٤) الكامل في اللغة والأدب: المبرد: علّق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار الفكر العربي: ط: ٣: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ١/ ١٦٦.

(٥) البرهان في وجوه البيان: تحقيق: د. حفني محمد شرف:٣٧، (مقدمة المحقق).

أحدهما: ((أَنْ يتمثل المتكلم بأمور قد كانت، ووجدت...))[١]، وهذا ما أكده الدكتور حفني محمد شرف في مقدمته لكتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب[٢].

وثانيهما: ((أَنْ يكون الخطيب يصنع المثال، ويخترعه اختراعًا... ومنفعة المثال الموجود أَنَّهُ أقنع عند المشوريات، وذلك أَنَّ المتوقعات أكثر ذلك- كما يقول أرسطو يشبهن الماضيات- فالأمثال أنفع في أَنَّها أسهل))[٣]، ولم يقف التأثر عند الثقافة اليونانية فقط، وإنمَّا في تأليفه، وفي أَنَّ الإنسان يمكنه أَنْ يجعلها شديدة الشبه بالأمور الماضية، والأمور التي فيها الكلام التي يحتج بها رُبَّما لم تكن شديدة الشبه، إلَّا أَنَّها – كما قلنا – أشد إقناعًا[٤].

وأصدق دليل على تأثر ابن وهب بأرسطو قول الأول في تصوير الخطيب: ((وَأَنْ يعلم بعد هذا أَنَّه لا يعدّ في المجادلين الحذاق حتى يكون بحسن بديهته، وحلاوة منطقه، وجودة عارضته، قادرًا على تصوير الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق متى شرع في ذلك، وإقامة كُلّ واحد منهما في مقام صاحبه))[٥]. وقول ابن رشد في تلخيص خطابة أرسطو: ((إِنَّهُ ليس كُلّ صنف من أصناف الناس ينبغي أَنْ يستعمل معهم البرهان في الأشياء النظرية التي يراد منهم اعتقادها، وذلك إمَّا لأَنَّ الإنسان قد نشأ على مشهورات تخالف الحق، فإذا سلك به نحو الأشياء التي نشأ عليها سهل إقناعه، وإمَّا لأن نظرته ليست معدة لقبول البرهان أصلا، وإمَّا لأَنَّهُ لا يمكن بيانه له في ذلك الزمان اليسير الذي يراد منه وقوع التصديق فيه؛ فلهذا قد نضطر إلى أَنْ نجعل التصديق بالمقدمات المشتركة بيننا وبين المخاطب- أعنى بالمحمودات-، وهذه

(١) البرهان في وجوه البيان: تحقيق: حفني محمد شرف: ٣٧، (مقدمة المحقق).
(٢) ينظر: المصدر نفسه: والصفحة نفسها.
(٣) تلخيص الخطابة: ابن رشد: ٤٥٠-٤٥٥.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤٥٥.
(٥) البرهان في وجوه البيان: ٢٤٠.

المنفعة تشارك هذه الصناعة فيها صناعة الجدل... وهذه الصناعة يمكنها الإقناع في المتضادين كما يمكن ذلك في القياس الجدلي... وكلا هاتين الصناعتين هما مهيئتان بالطبع، وعلى السواء للإقناع في كلا المتقابلين أعني أَنَّها ليست واحدة بينهما توجد أشد استعدادا للإقناع في أحد المتقابلين منها في الآخر، بل الاستعداد الموجود فيها على الإقناع في المتقابلين على السواء))[١]. فالقارئ لهذا النص يستنتج أَنَّ ابن وهب اختصره، وافاد منه، ولا نبالغ إذا قلنا إِنَّ ابن وهب نسج ما قاله على منوال ما رآه أرسطو، ويبدو لي أَنَّ ما ذهب إليه ابن وهب كان متأثرًا بأرسطو في كتابه: (الخطابة) في قوله: ((الخطيب يقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يلقى على نحو يجعله خليقا بالثقة؛ لأَنَّنا نستشعر الثقة على درجة أكبر، وباستعداد أوسع بأشخاص معتبرين في كُلّ الأمور بوجه عام؛ لكن إذا أعوز اليقين، وكان ثمَّ مجال للشك فان الثقة تكون مطلقة، وهذا الضرب من الإقناع مثل سائر الضروب ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم، لا عن طريق ما تظنه الناس عن خلقه قبل أن يتكلم))[٢].

تحدث ابن وهب الكاتب في باب أدب الجدل أيضًا، فذكر من صفات المجادل، أَنْ لا يجادل، ويبحث في الأوقات التي يتغير فيها مزاجه، ويخرج عن الاعتدال؛ لأَنَّ المزاج إذا زاد على حدّ الاعتدال كان معه العجلة، وعدم الصبر، وسرعة الضجر[٣]، وإذا زاد في البرودة على حال الاعتدال أورث البلادة، والسهو، وإبطاء الفهم[٤]، ثمَّ ذكر قول جالينوس في قوله، وقد قال جالينوس: ((إنَّ مزاج النفس تابع لمزاج البدن))[٥]، وبين قول ابن وهب وجالينوس تشابه كبير.

---

(١) تلخيص الخطابة: ابن رشد: ٥.

(٢) الخطابة: أرسطو: ٢٩-٣٠.

(٣) ينظر: البرهان في وجوه البيان: ٢٣٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٥) الجامع في الآداب والحكم: خالد عبدالله الكرمي: الباب الخامس: الوصف: دار الكتب العلمية: ٢٠١٨: ٣٩٤.

ويتضح لنا أَنَّ حديث ابن وهب عن التوّدد، والحاجب، واللغز، والمثل جاء متناغمًا مع أطروحات الفلسفة اليونانيّة؛ لكي يسهم في تقوية الحجج عند المجادلين، استنادًا إلى ما في هذه المصطلحات من دلالات، أَمَّا حديثه عن الجدل فهو في صلب الموضوع الذي اشتهر به.

يحاول هذا المبحث الوقوف عند المصادر العربية التي أفاد منها ابن وهب الكاتب في كتابه: (البرهان في وجوه البيان)، التي تُعدُّ منطلقات لمرجعياته المعرفية التي يزخر بها كتابه، والمؤكد أَنَّ هذه المرجعيات سواء أتلك التي استشهد بها، أم التي فكر بها لم تخرج عن دائرة المعرفة العربية الإسلامية؛ إذ عَدَّ القرآن الكريم المصدر الأساس الذي اعتمد عليه في كتابه ليس فقط كونه شاهدًا مدعمًا لأفكاره في مشروعه وحسب، بل كون صياغته كانت متأثرة بلغة القرآن الكريم، وأسلوبه؛ فلا تكاد صفحة من صفحاته تخلو من الاستشهاد بآياته الحكيمة، وإلى جانب هذه المرجعية الأساسية؛ إذ استعان بالسنّة النبوية؛ على أَنَّ الرسل حجة الله الظاهرة في البيان، فضلًا عن أَنَّ هذين المصدرين تعاملا في الاستشهاد مع الأقوال المأثورة منها ما يعود إلى أقوال الإمام علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين (عليه السلام)، ومنها ما يعود إلى أقوال الصحابة (رضي الله عنهم)، التي توزعت بين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعمار بن ياسر (رضي الله عنهم)، وغيرهم، علمًا أَنَّ أهم المصادر المؤثرة في ثقافة ابن وهب هي: القرآن الكريم، والحديث النَّبويّ الشَّريف، والبلاغة.

القرآن الكريم:

إنَّ المتمعن في المادة المعرفية التي تعامل بها، ومعها ابن وهب استنباطًا، وتداولًا تدخل في دائرة المعرفة العربية الإسلامية التي استغلها استغلالًا علميًا؛ إذ انطلقت نظرته للبيان من القرآن الكريم الذي يُعَدُّ المصدر الأَوّل الذي اعتمده في كتابه، ويبدو لي أنَّ تأثر ابن وهب الكاتب بالقرآن الكريم كان واضحًا في بيان خلق الله – عَزَّ وَجَلَّ – الإنسان، وتفضّيله على سائر الحيوان، وقد نطق بذلك القرآن الكريم فقال – عَزَّ من قائل –: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1]؛ إذ فضَّل الله – عَزَّ وَجَلَّ – الإنسان على سائر

(١) سورة الإسراء: الآية: ٧٠.

Abstract

My study, which is entitled (dialecticism and controversy in *Kitab Al-Burhan fi Wujoh Al-Bayan* by Ibn Wahab Al-Katib) comes to talk about the nature of dialectic thinking in Ibn Wahab who died in (335 H.) in his book *Al-Burhan fi Wujoh Al-Bayan*. Due to the significance of the study in terms of dealing with of the criteria of controversy and its tools in the style of this author, it was divided into a preface, three chapters and a conclusion. The preface was entitled "Dialecticism and Controversy in Language and Terminology". The first chapter carried the title "Sources of Dialectic Thinking" and included three sections; the first of which was entitled "Foreign Sources", the second was entitled "Arabic Sources", whereas the third was entitled "Oriental Sources"

The second chapter, "Dialectic Mechanisms", was subdivided into three sections; the first of them was entitled "Dialectic Links", while the second came under the title "Dialectic Factors", and the third was entitled "Dialectic Ladders". Furthermore, the study completes its chapters with the third chapter, which carried the title "Manifestations of Controversy" to be in three sections; the first was entitled "Simile", the second was "Metaphor and Allegory" while the third was entitled (Metonymy).

The conclusion comes to highlight the most important results of the study; most significantly amongst them were elucidating the logical, mental vision in controversy that was incarnated in the thought of Ibn Wahab in his book (*Al-Burhan fi Wujoh Al-Bayan*), the ability of the author to extrapolate texts, and respond to the violators with evidence. It is beyond dispute that the study relied, in the collection of its material on many sources, the most important of which was the Glorious Qur'an, the books of the Prophet's Hadith, and collections of poetry.